لماذا لم يتمكن اليهود الشرقيون من تجاوز هذه الأوضاع؟ أحد الأسباب يكمن في أنهم حتى في رفضهم للإجحاف الذي يلحقه بهم الأشكنازيون، يظلون مع ذلك مسلّمين بالنمط الأوروبي لهيكلية المجتمع، باعتباره النمط الشرعي. ولهذا تجد أنهم لم يتساءلوا قط عن مبررات خضوعهم لثقافة غريبة عن أعرافهم، فكل ما فعلوه هو المطالبة بأن يكون لهم نصيب عادل في «الكعكة» الثقافية.

وهناك حقيقة أخرى تعوق أو تعرقل الاستيعاب الاجتماعي الحقيقي لهذه الفئة القوية في حيّـز الإمكان، تتعلق بصفة اليهودي الشرقي. فتصنيف اليهودي الشرقي كان، بدءاً على الأقل، تصنيفاً مصطنعاً استخدم للدلالة على أناس من مناطق جغرافية مختلفة، وثقافات متنوعة، وخلفيات اقتصادية متباينة. وبعبارة أخرى، لا يتوافر لهذه المجموعة من الناس تجانس ثقافي ــ حضاري يوجب تصنيفهم في فئة واحدة ذات هوية مشتركة وكيان محدد: «لا يوجد مجتمع سفاردي أو شرقي واحد، هناك عدة مجتمعات»[٢٢]. وبعد وصول هؤلاء الناس إلى اسرائيل، كانت أقوى أنواع العلائق التي تشدهم، هي صلتهم بمنطقتهم السابقة، وأمتهم السابقة، أو حتى في بعض الاحيان انسباؤهم وارتباطاتهم العشائرية السابقة. ومع أن هذا التعريف لليهودي الشرقي أصبح مقبولاً من جانب العديد من اليهود غير الأوروبيين، باعتباره التعريف الذي ينطلق من العلاقات العامة والتمييز بينهم وبين اليهود الأشكناز، إلا أنه تعريف غير مقبول في داخل المجتمعات الشرقية نفسها. بل نجد على العكس من ذلك أن أبرز الحواجز التي تحول دون التعاون فيما بينهم، أي بين الشرقيين أنفسهم، كان على الدوام التصنيفات الداخلية التي يستخـدمونهـا ونواحي التمايز التي يسجلونها انطلاقاً من اعتبارات ثقافية ووطنية وعائلية. وبكلام آخر نؤكد أنه لم يتوافر لليهود الشرقيين قدر كاف من التجانس الذي ــ مثلاً ــ كان للطبقة العاملة البريطانية في أواخر القرن التاسع عشر. ولقد قاد هذا الواقع إلى سلسلة من النزاعات المريرة بين الجماعات المختلفة من المهاجرين الوافدين من شتى البلدان والثقافات. ومن هذا ان اليهود السفارديم (أي أحفاد أولئك اليهود الذين نزحوا من اسبانيا والذين تشتتوا إلى مختلف أصقاع شمال أفريقيا، وتركيا، واليونان، ومصر) يميزون أنفسهم عن سواهم من اليهود غير السفارديم ولو كانوا من غير الأوروبيين. ومن النماذج الشهيرة لهذه النزاعات، العلاقات المتوترة المشحونة بعدم الثقة بين اليهود العراقيين والمراكشيين. ونستنتج من هذا أن الحاجز الهائل الذي يحول أساساً دون تعاون اليهود الشـرقيين يتمثل في نزاعاتهم الداخلية والفروقات المميزة لفئاتهم المختلفة عـلى الصعد الثقـافية والعرقية وصلات النسب والقرابة.

كلمة أخيرة

الخلاصة العامة التي يمكن الـوصول إليهـا في الختام هي أن قضيـة اليهود الشرقيين مثيرة للاهتمام بصورة خاصة، من حيث أنها تكشف على نحو ملائم النزاع بين القيم الشرقية والغربية. وأن اليهود الشرقيين، على الرغم من كونهم الأكثرية، لا يحاولون أن يفرضوا على المجتمع أعرافاً ومفاهيم تمشى مع تقاليدهم، وتستجيب لاحتياجاتهم،